

الفصل الأول

نشأة الصهيونية غير اليهودية

صناعة أسطورة

ظهرت الصهيونية على مسرح أوروبا السياسي لأول مرة كأيديولوجية سياسية شاملة وحركة سياسية منظمة في أواخر القرن التاسع عشر، ولكنها «كفكرة» سبقت الصهيونية اليهودية؛ إذ يعود تاريخها إلى ما قبل ذلك. ولم تنشأ الفكرة الصهيونية، بما في ذلك أسطورتها الأساسية، في هذه الفترة ولكنها تعود في تاريخها إلى ثلاثمائة عام قبل المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل عام ١٨٩٧م حين التفت مجموعة من اليهود الأوروبيين حول اللواء الصهيوني^(١). وقد اتخذ النسيج الصهيوني شكله خلال القرون الأربعة لتاريخ أوروبا الديني والاجتماعي والفكري والسياسي نتيجة تداخل خيوط كثيرة مختلفة من الثقافة الغربية، وفي طبيعتها الخيوط الدينية. وعلى ذلك، فالعالم الصهيونية غير اليهودية قائمة على مجموعة من الأساطير الصهيونية التي تسربت للتاريخ الغربي، وكان أكثرها وضوحاً ماتم عبر حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في القرن السادس عشر.

والأساطير الصهيونية التي بدأ غرسها في هذه المرحلة المبكرة في البيئة غير اليهودية كانت متوافقة مع تلك التي أصبحت تشكل في النهاية المنطق الروحي الباطني للصهيونية اليهودية السياسية، وهي أساطير الشعب المختار، والأرض الموعودة، والمجيء الثاني للمسيح. وقد جعلت أسطورة الشعب المختار اليهود أمة مفضلة على الآخرين، بينما كانت أسطورة الأرض الموعودة تركز على الارتباط السرمدي الدائم بين الشعب المختار والأرض المقدسة كما وعد الله، وبذلك مُنحت فلسطين لليهود كأرض كُتبت لهم. أما أسطورة ترقب عودة المسيح فقد كفلت للشعب المختار أن يضع حداً لتشرده في الوقت المناسب ليعود لفلسطين لإقامة وطنه القومي هناك إلى الأبد.

ونحن نستعمل مصطلح «أسطورة» بمعناها الاجتماعي الذي أوجزه تالكوت
پارسونز^(٢)، وهو يعنى أنماط الاعتقاد المقدسة التي يقبلها المجتمع بشكل عام؛ لأن فيها
عناصر محسوسة وذات ارتباط بالدين والتاريخ أو السياسة. والأساطير بذلك تمتزج
بأنماط اعتقاد أيديولوجية معقدة يتقبلها أفراد المجتمع في العادة بشكل لاشعورى.
وتكمن ميزة الأساطير الصهيونية في الدمج الوثيق بين العناصر القومية والتاريخية
والدينية التي تشير إلى العلاقة بين العهد القديم والأرض المقدسة والشعب المختار^(٣).

لقد بدأت الصهيونية غير اليهودية تتخذ شكلاً متميزاً في أوائل القرن السادس
عشر، حين تضافرت حركة النهضة الأوروبية وحركة الإصلاح الديني على إرساء
أساس التاريخ الأوروبي الحديث. وقد أثار الاهتمام بالأدب التوراتي وتفسيره اهتماماً
عاماً باليهود وعودتهم إلى فلسطين. وعلى ذلك، لم يعد تحرير اليهود - إعطاء حقوق
المواطنين - هو لب المسألة اليهودية في القرن السادس عشر، بل الدور الذي كُتبَ على
اليهود أن يقوموا به بشأن القضايا الجديدة كتتحقيق نبوءات التوراة واليوم الآخر والمجيء
الثاني للمسيح.

وعلى هذا، فإن حركة الإصلاح الديني البروتستانتي، بإتاحتها الفرصة للنهضة
اليهودية القومية وعودتهم الجماعية إلى فلسطين، هي التي ابتدأت سجلاً جديداً
للصهيونية غير اليهودية كعنصر مهم في اللاهوت البروتستانتي والإيمان بنهاية العالم.

إصلاح تفسير التوراة

فلسطين المسيحية في القرون الوسطى

لم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل عقد الإصلاح الديني أدنى مكان
لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية. وكان
القساوسة الأوائل يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون التفسيرات المجازية التي
أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي كما وضعتها الكنيسة الكاثوليكية
الرومانية. وكان يعتقد أن الفقرات الواردة في التوراة، وبخاصة في العهد القديم،
والتي تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم لا تنطبق على اليهود، بل على الكنيسة

المسيحية مجازاً. أما اليهود فإنهم، طبقاً للعقيدة الكاثوليكية الرسمية، فقد اترفوا إنمًا فطردهم الله من فلسطين إلى مناهم في بابل.

وعندما أنكروا أن عيسى هو المسيح المنتظر نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهى وجود ما يسمى «الأمة اليهودية» إلى الأبد، ولذلك فليس لليهود مستقبل قومي جماعي، ولكنهم كأفراد يستطيعون أن يجدوا الخلاص الروحي باعترافهم للمسيحية.

والنبوءات المتعلقة بعودة اليهود كانت تُؤوَّلُ على أنها عودة الإسرائيليين من المنفى في بابل، وقد تحقق ذلك في القرن السادس قبل الميلاد حين أعادهم «قورش» إلى فلسطين. أما الفقرات الأخرى التي تنبأ بمستقبل مشرق لإسرائيل، فإنها كانت تُحمَلُ على أنها تنطبق على «إسرائيل الجديدة»، أي الكنيسة المسيحية التي كانت تعتبر إسرائيل «الحقيقية» والوريث المباشر للديانة العبرية.

كانت هذه هي فكرة «De Civitate Dei» الذي كتبه القديس أوجسطين، والذي يعتبر التحفة الأدبية للاهوت الكاثوليكي. ويعتبر الأب أوجسطين، الذي عاش في القرن الخامس، واضع العقيدة التي كانت الكنيسة بموجبها تجسد مملكة الله الألفية السعيدة. وبقي الأمر المسلم به أن هذه العقيدة هي الرأي المسيحي التقليدي في اليهود حتى القرن السادس عشر. ونتيجة لذلك، كانت فترة العصور الوسطى تميل إلى الفصل بين اليهود المعاصرين والعبرانيين القدامى^(٤).

وكانت فلسطين تعتبر أساساً الوطن المقدس الذي أورثه المسيح لأتباعه المسيحيين، ولم تكن القدس توصف بأنها صهيون اليهودية، بل مدينة العهد الجديد المقدسة. ولم تتضاءل أهمية هذه المدينة كمدينة مقدسة إلا فيما بعد عام ٥٩٠م، حين أصبح عرش البابا جريجوري العظيم هو مركز السلطة المسيحية وأصبحت لروما الخطوة على القدس، وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة في السلسلة الهرمية لهيئة الكهنوت الكاثوليكية، مع أنه كان يعد الوريث الإكليركي الشرعي للقديس جيمس شقيق عيسى^(٥). ومع ذلك بقيت فلسطين، الأرض المقدسة، تتغلغل في حياة وخيال مسيحيي العصور الوسطى. وكانت الرحلة للأرض المقدسة مطمح كل مسيحي مع ما يرافق ذلك من إغراء بالمغامرة والكسب الاقتصادي أحياناً. وكان الحجاج إلى فلسطين يعودون وفي جعبتهم قصصٌ عن مشاهد رائعة، ويشيرون الرغبة لدى الآخرين

لزيارتها، ولولا حملات الحج الجماعية هذه لكان من المحتمل أن يخبو الاهتمام بالأرض المقدسة تماماً.

لم تعد فلسطين والقدس محور اهتمام أوروبا المسيحية فى العصور الوسطى إلا عندما تضامنت البابوية والنبلاء فى الحملات الصليبية لاستعادة الأرض المقدسة من الكفرة، سواء أكانوا يهوداً أم مسلمين.

والعداء الشائع لليهود فى أوروبا، كما تشير المؤرخة الصهيونية بربارة تخمان، كان أشد ما يكون عمقاً إبان الحملات الصليبية مع أنه لم يكن واضحاً قبل ذلك^(٦). ويشير مؤرخون آخرون إلى أن المحاربين الصليبيين المسيحيين هم أول من بدأ المذابح اليهودية وهم فى طريقهم إلى فلسطين^(٧)، وشهد عهد الحروب الصليبية كذلك بداية نظام الأقليات، وبالتالى عزلة اليهود عن المسيحيين.

لم تكن أوروبا قبل عهد الإصلاح الدينى تعتبر اليهود الشعب المختار الذى قُدِّرَ له أن يعود للأرض المقدسة، وإذا كان اليهودى مختاراً لأمر ما فإنه اللعنة. وكان اليهود يعتبرون مارقين، ويوصمون بأنهم قتلة المسيح. ولم تكن هناك ذرة من حب عاطفى للمجد القديم للجنس العبرى، كما لم تكن هناك بارقة أمل فى إعادة بعث اليهود روحياً أو قومياً. ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لفلسطين. كانت الصهيونية غير اليهودية غائبة تماماً عن أوروبا فى العصور الوسطى، وكانت إسرائيل تعنى مجرد اسم الديانة، بل وديانة دنيا، ولم يكن هناك أية فكرة من الممكن أن تكون «إسرائيل» صفات قومية^(٨).

الإصلاح الدينى وروح الشعب العبرى

كانت المبادئ البروتستانتية التى وضعتها حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر مغايرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية السابقة. وتوصف هذه الحركة بأنها بعث «عبرى» أو «يهودى» تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضى والحاضر اليهودى وعن مستقبله بشكل خاص. كان اهتمام حركة الإصلاح البروتستانتى منصباً على العالم

القادم، وكان ينظر إلى الحياة بمنظار الأبدية، كما ساد الاعتقاد بالمجيء الثاني للمسيح والعهد الألفى السعيد اللذين هما من مقومات المبادئ اليهودية^(٩).

ومع أن المسيحية كانت نتاجاً لليهودية إلى حد بعيد، وكانت تشتمل على بعض العناصر اليهودية القوية، فإن التغييرات اللاهوتية التي جاءت بها حركة الإصلاح هي التي روجت لفكرة أن اليهود شعب مختار، وأكدت على عودتهم إلى أرض فلسطين. وكان هناك من قبل ذلك فصل واضح بين شعب العهد القديم العبري، الذي كان يعتبر مثاليًا، واليهود المعاصرين الذين ينظر إليهم بازدراء، ولكن العبرانيين التوراتيين أصبحوا يُقَرَّنُونَ بأبناء دينهم الحديثين في هذه الفترة. وساد الاعتقاد بين البروتستانتين أن اليهود المشتتين حاليًا سيجمعون من جديد في فلسطين للإعداد لعودة المسيح.

وقد ساهم المناخ الديني الجديد في القرن السادس عشر، بالإضافة لسلسلة من الهزات السياسية، في ظهور مثل هذه الأفكار الصهيونية التي ترعرعت في بيئة مشبعة بروح العهد القديم ومحكومة بتشريع معين. وتطور الاهتمام بالتوراة باعتبارها كلمة الله تحت شعار «العودة إلى الكتاب المقدس». وأصبح العهد القديم هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد. وحلت كلمة الله المعصومة كما جاءت في الكتاب المقدس، والتي ترجمت إلى لغة الناس العادية محل الكنيسة المعصومة التي يمثلها البابا في روما «ودُعِيَ المؤمنون للعودة إلى الكتاب المقدس نفسه باعتباره مصدر المسيحية النقية الثابتة، وإلى فهم النصوص بمعناها الواضح البسيط»^(١٠).

وجاءت البروتستانتية بفكرة إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصي دون فرض قيود على التفسيرات التوراتية، فكان كل بروتستانتي حرًا في دراسة الكتاب المقدس واستنتاج معنى النصوص التوراتية بشكل فردي، وهكذا فُتِحَ الباب للبدع في اللاهوت المسيحي، وأصبح التأويل الحرفي البسيط هو الأسلوب الجديد في التفسير بعد أن هجر المصلحون البروتستانتيون الأساليب التقليدية الرمزية والمجازية.

ومما قوى وعزز النزعة «اليهودية»^(١١) لحركة النهضة البروتستانتية إعادة اكتشاف العهد القديم الذي كان عنصرًا أساسيًا في هذه الحركة؛ لأنه «إذا كان من المشكوك فيه

أن تقوم البروتستانتية دون معرفة العهد القديم، فمن المؤكد أنه لولاه لما اتخذت الكنيسة البروتستانتية الشكل الذي اتخذته»^(١٢)، ولا يشكل ما يسمى بالعهد القديم الجزء الأكبر من الكتاب المقدس فحسب، ولكنه يعرف بأنه التوراة اليهودية أو العبرية. وبسبب هذا الإرث المشترك أشار بن جوريون للكتاب المقدس المسيحي بقوله:

**إنه «صك اليهود» المقدس لمملكة فلسطين... الذي يرجع تاريخه إلى
عام ٣٥٠٠ (١٣).**

وعندما ترجم الكتاب المقدس للغات القومية أصبح ما ورد في العهد القديم من تاريخ، ومعتقدات، وقوانين العبرانيين، وأرض فلسطين أموراً مألوفة في الفكر الغربي، وغدت قصص وشخصيات العهد القديم مألوفة كالخبز، وأضحى كثير من البروتستانت يرددونها عن ظهر قلب. وأصبح المسيح نفسه معروفاً كواحد من سلسلة طويلة من الأنبياء العبرانيين. وحل أبطال العهد القديم كإبراهيم وإسحاق ويعقوب محل القديسين الكاثوليك.

وأصبحت فكرة أن الحج للقدس يكفر الخطايا مرفوضة، كما أنكرت شفاعة القديسين وتبجيل رفاتهم. لكن ذلك لم ينس الناس الأرض المقدسة، بل إنها حظيت بأهمية جديدة حيث ارتبطت بدلالات صهيونية. وكانت فلسطين، باعتبارها أرض الشعب المختار، ماثلة في الخيال البروتستانتي والطقوس البروتستانتية، وأصبح الربط بين الأرض وأهل الكتاب يرد في الطقوس والشعائر البروتستانتية، بل وفي الأسماء التي كان البروتستانت يطلقونها على أبنائهم^(١٤). وهكذا أصبحت فلسطين أرضاً يهودية في الفكر المسيحي في أوروبا البروتستانتية، وأصبح اليهود هم الفلسطينيين الغرباء في أوروبا، والذين سيعادون إلى فلسطين عندما يحين الوقت المناسب.

وعندما أصبح ذلك جزءاً من طقوس العبادات والصلوات في الكنيسة، اتخذت التعاليم الصهيونية غير اليهودية شكلاً ثابتاً، وحظيت بمكانة راسخة في ضمير أوروبا القومي.

كان كل يوم أحد يعيد إلى ذهنه «مفخرة كل البلاد»؛ تاريخها القديم وازدهارها المفقود، فى الوقت الذى يشهد فيه الدمار القائم هناك بصدق الكتاب المقدس والبركات الموعودة... وقد ساهمت الأوصاف التى وردت فى التوراة عن الأرض المقدسة فى نشر ما يمكن أن نسميه الفكرة الصهيونية^(١٥).

لم يعد العهد القديم أكثر الآثار الأدبية شيوعاً بين عامة البروتستانت فحسب، بل إنه أصبح مصدر المعلومات التاريخية العامة، وكانت هذه هى الفترة التى بدأت فيها عملية التزوير التاريخى. وقد وجد التزوير الصهيونى الحالى للتاريخ الذى يدعى «حقاً تاريخياً» فى فلسطين مادته المسيحية فى التمسك بحرفية الكتاب. وأخذ التاريخ الشامل لفلسطين يقلص بشكل تدريجى إلى أن اقتصر على القصص المتعلقة بالوجود اليهودى وحده، وأصبح الأوروبيون مهئين للاعتقاد بأنه لم يكن هناك فى فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية الواردة فى العهد القديم، والتى لم تعد تؤخذ على حقيقتها، بل اعتبرت تاريخاً صحيحاً.

ولما كان التعليم الذى يتلقاه معظم الناس يتكون أساساً من قراءة الأدب التوراتى، فقد أخذت الأجيال اللاحقة تعتبر فلسطين الوطن اليهودى، فلا هجرة سوى هجرة إبراهيم، ولا وجود لمملكة غير مملكة داود التى سبقتها وتلتها ممالك كثيرة، ولم يعد الناس يذكرون من الثورات إلا ثورة المكابيين. وكان يبدو وكأن لا وجود للشعوب الكثيرة التى استوطنت وعاشت فى فلسطين، مع أن معظمها عاش فترات أطول من اليهود. لقد كان هذا التلاعب بالتاريخ بدعة من بدع فترة الإصلاح الدينى؛ إذ لم يكن استيلاء اليهود على فلسطين أمراً يدور فى أذهان حجاج القرون الوسطى^(١٦).

العبرية والثقافة الغربية

إن الوزن الكبير الذى أعطته حركة الإصلاح الدينى للغة العبرية، باعتبارها اللسان المقدس «Leshon Ha Hodesh» واللغة التى أوحى الله بها لشعبه^(١٧)، يعد ذا أهمية كبرى فى تطور الصهيونية المسيحية فى عهد ما بعد الإصلاح الدينى.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية حتى ذلك الوقت قد أبقّت اللغة اللاتينية حية؛ إذ كانت ترجمة جيروم اللاتينية للكتاب المقدس، مقدسة؛ وكانت الأساطير الكاثوليكية التقليدية ترى أن دراسة العبرية، أو حتى اليونانية، تسلية الهراطقة. وكان تعلم العبرية في نظر الكثيرين «بدعة يهودية»^(١٨). وقد اتخذت خطوات عنيفة لاجتثاث دراسة العبرية في عهد الفلسفة النظرية السائدة في القرون الوسطى. وكان من يتقن ثلاث لغات يتحدث اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، لكن الأمر تغير في عهد النهضة، فقد أصبح العالم يتقن اللاتينية واليونانية والعبرية، وسرعان ما أصبحت معرفة العبرية، جزءاً من الثقافة الأوروبية العامة، بل إن حركة الإصلاح جعلتها جزءاً من المنهج الدراسي اللاهوتي.

كان تمسك حركة الإصلاح الديني بحرفية الكتاب المقدس هو الذي أثار اهتمامها باللغة العبرية، فلكى تفهم كلمة الله بشكل صحيح، كما أوحى بها في النصوص المقدسة، كانت معرفة اللغة الأصلية أمراً لا مندوحة عنه، وأصبح العلماء والمصلحون مضطرين لمعرفة العهد القديم بلغته الأصلية.

وقبل نهاية القرن السادس عشر، أخذت الحروف العبرية تستعمل في الطباعة، ولم تعد معرفة العبرية مقتصورة على كتب العهد القديم، بل انكب المسيحيون العاديون ورجال الدين على دراسة أدب الأخبار، وأصبحت العبرية:

مسألة ثقافة واسعة كما هي مسألة دين، وسرعان ما تحولت معرفة الأدب العبري، أو الإلمام بشيء منه على الأقل، من دراسة ترجمة أشعار العهد القديم غير الصحيحة وغير المترابطة، إلى معرفة هذه الكتب بلغتها الأصلية والتبحر في عالم الفكر العبري الذي لم يكن مكتشفاً من قبل^(١٩).

وكان للقبالية المكان الأول من بين النصوص العبرية التي كانت تدرس بعناية خلال عصر النهضة والإصلاح الديني.

والقبالية هي مجموعة من الكتابات الباطنية الدينية التي تتضمن تعليقات عن العهد القديم، والتي انبثقت من الجانب الباطني لليهودية، وكان الأدب القبالي يعد

مجموعة من كنوز الحكمة القديمة، كما كانت باطنية القبالانية تعتبر تحولاً جذرياً عن النظام اللاهوتى العقيم الذى كان معروفاً فى العصور الوسطى. وصار كتاب چوهان روشلن «فن القبالاه» عام (١٥١٧م) من أكثر الكتب رواجاً، وكان معظم أهل الفكر الأوروبيون، سواء رجال الدين أو العلمانيون، يرجعون إليه فى أعمالهم الأدبية. وقد خلب الكتاب ألباب كثير من المصلحين البروتستانت، وبخاصة بعض رجال الحركات الباطنية المختلفة، وكانوا يحاولون استعمالها فى تعاليمهم عن الشئون الأخروية^(٢٠).

كان هذا الإعجاب الجديد بالعبرية كلغة يقترن فى أذهان كثير من المجموعات والفرق البروتستانتية بإعجاب بالمبادئ والقيم اليهودية، وخير مثال على ذلك إنجلترا البيوريتانية، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فى موضوع لاحق من هذا الفصل. لقد أدى الإعجاب بالماضى اليهودى إلى احترام اليهودية المعاصرة، وكان من نتائج ذلك أن ازداد التسامح فى الأراضى الواقعة تحت النفوذ السياسى البروتستانتى كما يتضح من حالة الأراضى المنخفضة التى كانت تحت حكم أسرة أورانج. لقد كانت أمستردام فى القرنين السادس عشر والسابع عشر تعرف بين يهود أوروبا بأنها القدس الجديدة^(٢١)، وقد وضع هوجو جروتوس - وهو عبرانى معروف وفيلسوف ورجل دين ومحام، ويعد واضع القانون الدولى العام - المصادر المشتركة بين المسيحية واليهودية فى بحثه «حقيقة الدين المسيحى - Ueber die Wahrheit der Christlichen Religion» وعارض بشدة احتقار المسيحية لليهودية واعتبارها ديناً ضيعاً.

تسربت الروح العبرية الجديدة كذلك إلى الفنون والآداب، وتركت بصماتها الخالدة على الحضارة الأوروبية، فقد أصبح رمبرانت ومعاصروه من الفنانين يرسمون ويحضرون مناظر من الكتاب المقدس، وبخاصة العهد القديم. وفى مجال الأدب حل نوع جديد من الدراما المبنية على قصص وتفسيرات العهد القديم محل المسرحيات التى كانت تمثل حياة القديسين، والتى كانت شائعة فى العصور الوسطى، وأصبحت الشخصيات التى ورد ذكرها فى العهد القديم تبدو على أنها شخصيات تحتذى فى أخلاقها. وانصب التركيز على العهد القديم كمصدر للتعاليم الأخلاقية أكثر منه مصدراً للعقيدة أو الدين.

لم يتضح بعد كيف أثرت اليهودية والعبرية فى عقل أوروبا الحديثة^(٢٢). ومع أن الحقائق متوافرة للجميع، فإن أحداً لم يحاول جمعها معاً ليظهر كيف تجمعت لتشكّل

بدايات الحب لليهود فى أوروبا، والذى تمخض عما نسميه ظاهرة الصهيونية غير اليهودية .

البعث اليهودى والألفية المسيحية السعيدة

من بين النتائج الواضحة للإصلاح الدينى البروتستانتى ظهور الاهتمام بتحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان . وكان جوهر «العصر الألفى السعيد» هو الاعتقاد بالمجىء الثانى للمسيح؛ ليقم مملكة الله على الأرض، والتي ستدوم ألف عام . واعتبر المؤمنون بالعصر الألفى السعيد مستقبل الشعب اليهودى أحد الأحداث الهامة التى تسبق نهاية الزمان . والواقع أن التفسير الحرفى لنصوص سفر الرؤيا (٢٣) قادهم إلى الاستنتاج بأن عودة اليهود كأمة «إسرائيل» إلى فلسطين هى بشرى الألف عام السعيدة، لكن تحول اليهود للمسيحية عنصر مهم لتحقيق ذلك، بل إن بعض الفرق كانت تصر على اعتناق اليهود للمسيحية قبل بعثهم، بينما اعتقد آخرون أن ذلك سيتم بعد عودتهم لفلسطين .

طوال تاريخ الكنيسة المسيحية، استمر الاعتقاد الأخرى بعودة المسيح السريعة، وشاع ذلك الاعتقاد فى القرن الأول الميلادى، وكان يظهر بين فينة وأخرى خلال فترات الاضطراب السياسى والاجتماعى . ولكن الأمر الذى ينبغى ألا يغرب عن البال، أن فكرة نهاية الزمان كانت مدمرة وتعتبر تهديداً لأمن الكنيسة فى العصور الوسطى (٢٤) .

وبعد أن أصبحت المسيحية هى الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية عام ٣٨٠م، عقد القساوسة الأوائل، من أمثال: أوريجون وأوجسطين، العزم على استئصال شأفة أفكار وتوقعات المؤمنين بالعصر الألفى السعيد . ويبدو أن أوجسطين وضع حدًا لهذه المشكلة فى كتابه «مدينة الله» حتى القرن السادس عشر على الأقل، فقد فسر أوجسطين فكرة العصر الألفى السعيد مجازاً بأنها حالة روحية وصلت إليها الكنيسة فى عيد العنصرة؛ أى بعد موت المسيح وبعثه .

وكانت حركة الأقليات شبه الطائفية التى سبقت عهد الإصلاح الدينى، والتي كانت تعبر عن حنينها للعصر الألفى السعيد مضطرة للبقاء سرية بسبب اضطهاد الكنيسة فى روما لها واعتبار تعاليمها كفرة (٢٥) .

لم تتعمق حركة بعث الشعب اليهودى فى تعاليم هذه الحركات التى كانت تنتظر اعتناق اليهود للمسيحية سريعاً^(٢٦). ومع أن فكرة العصر الألفى السعيد لم تسد حتى فى أوساط الفئات البروتستانتية الرئيسة (حيث استمر لوثر وكالفين مثلاً على التمسك بتعاليم أوجسطين حول هذه الفكرة) إلا أنها ظهرت فى أوساط الجماهير، وتسربت أفكارها إليهم. واستمرت هذه الحركة فى استقطاب أنصار لها فى كل فترات التاريخ التى تلت حركة الإصلاح الدينى إلى أن بلغت ذروتها فى القرن العشرين فى مذهب العصمة الحرفية للكتاب المقدس بين المسيحيين الأصوليين فى أمريكا، الذى بصر على أن إسرائيل هى التحقيق الواقعى للنبوءة فى العصر الحديث.

العصر الألفى السعيد فى عهد النهضة

أفرزت حركة الإصلاح الدينى عقلية وجدت نفسها مفتونة بهذا التاريخ الحى. وكان يعتقد أن حركة الإصلاح نفسها نقطة تحول تشير إلى قرب نهاية الزمان. وقد أثبتت أوروبا، والتى كانت تحت وطأة الحروب الطاحنة لعدة قرون، أنها أرض خصبة لمثل هذه العلامات الأخروية. وكان الاضطهاد الشديد الذى يتعرض له كثير من الفرق البروتستانتية على يد الكنيسة الرسمية يفسر على أنه علامة أخرى من علامات نهاية الزمان. فى هذا الإطار حظيت النبوءات التوراتية الكثيرة عن مستقبل إسرائيل بأهمية كبرى، وغدا كثير من الفرق مقتنعاً بأن تحقق النبوءات يشمل اليهود المعاصرين بشكل أو بآخر.

وفى نهاية القرن السادس عشر - تقريباً - ظهر أول أثر أدبى مطبوع عن التفكير فى العصر الألفى السعيد وبعث اليهود، وانتشر فى أوروبا، وبخاصة فى الجزر البريطانية؛ حيث كانت حركة الإصلاح الدينى قد وطدت أقدامها منذ أن انفصل الملك هنرى الثامن عن روما، وكانت بعض الطوائف تعبر عن آمالها بالمسيح المنتظر فى القارة الأوروبية، لكنها كانت تضطهد بعنف باعتبارها قوى مارقة، حتى إن مايكل سيرفتس (١٥٠٩ - ١٥٥٣م) أحرق حياً لاتهامه بأنه «يهودى» معاد للثالوث، وفى عام ١٥٨٩م، لقى فرانسيس كت المصير نفسه فى إنجلترا. وكان الرجلان من الموحدين، وكتبا عن بعث اليهود. وكان كل منهما يرى أن شعب الله المختار يعنى حرفياً الشعب اليهودى.

أما فى هولندا وسويسرا، فقد بقيت بعض هذه الفرق على قيد الحياة، وكان الثمن

الذى دفعته خضوعها لأوامر الكنيسة . وفى ألمانيا قُمعتْ هذه الحركات عندما أصبحت اللوثرية نداءً للكاثوليكية وتحالفتا مع النظام القائم . أما فى إنجلترا الأنجليكانية ، فلم تُقَمَّ حركة البعث اليهودى بسهولة . ومع أن السلطات الدينية والديوية الحاكمة آنذاك كانت تقمع الفكرة الجديدة بشدة ، إلا أن هذه العقيدة سرعان ما حظيت باحترام كبير فى الأوساط الدينية الإنجليزية .

لم يكدمر عقد على مصير «كت» التعس الذى اعتبر واحداً من المارقين المؤمنين بالعصر الألفى السعيد حتى ظهر توماس برايمان (١٥٦٢ - ١٦٠٧م) وهو عالم لاهوت ذو شأن ، وتناول الموضوع الذى كان يلمح له «كت» بشكل مفصل ، فقد كتب مباشرة عن البعث اليهودى فى كتابه «Apocalypsis Apocalypscos» وقال : إن اليهود كشعب سيعودون ثانية إلى فلسطين ووطن آبائهم الأوائل «لا من أجل الدين ، كما لو أن الله لا يمكن أن يعبد فى مكان آخر ، بل لكيلا يكافحوا كغرباء ونزلاء لدى الأمم الأجنبية»^(٢٧) .

وكان لبرايمان ، الأب الروحى لعقيدة بعث اليهود البريطانية ، أتباع كثيرون من معاصريه من بينهم أعضاء فى البرلمان . وقد وافق أحد هؤلاء ، وهو السير «هنرى فنش - Henry Finch» الذى يعد حجة القانون فى عصره ، على ما جاء فى كتاب برايمان ، ونشر فى عام ١٦٢١م كتابه المثير للجدل «البعث العالمى الكبير ، أو عودة اليهود (معهم) كل أم وممالك الأرض إلى دين المسيح» وجاء فى هذا الكتاب :

حيث تذكر إسرائيل ويهودا وصهيون والقدس (فى الكتاب المقدس) فإن الروح المقدسة لا تعنى إسرائيل الروحية أو كنيسة الله التى تتكون من المسيحيين أو اليهود أو منهما معاً ، ولكنها تعنى إسرائيل التى انحدرت من صلب يعقوب . وينطبق الشيء نفسه على عودتهم لأرضهم وقواعدهم القديمة وانتصارهم على أعدائهم . . . سيقمون الكنيسة المجيدة فى أرض يهودا نفسها . . . هذه التعبيرات وأمثالها ليست مجازات وأقوالاً تفوه بها المسيح ولكنها تعنى اليهود فعلاً وقولاً^(٢٨) .

ورفض «فنش» بشكل قاطع تفسير أوجسطين المجازى ، وأصر على أن الله كان

يعنى ، طبقاً للنبوءة التوراتية ، إعادة اليهود جماعياً وقومياً إلى وطنهم السابق بشكل فعلى :

إنها ليست قلة مبعثرة هنا وهناك ، بل . . الأمة بشكل عام . سيعودون إلى وطنهم . . . وسيعمرون كل أجزاء الأرض كما عمروها من قبل . . سيعيشون بسلام وسيبقون هناك للأبد^(٢٩) .

لقد كانت نبوءته فريدة من نوعها ، وذلك أنها تضمنت وصفاً للمستقبل الذى استعادته إسرائيل . « إن ما كان يميز نبوءة فنش هو مزجه بين الدين والسياسة كما عبر عنها فى رؤية الكومنولث اليهودى المستعاد . وهنا نرى تصوراً للحكومة الدينية التى تعتبر حقيقة واقعة فى أرض إسرائيل المحررة^(٣٠) . لقد استعمل فنش التعبيرات الصهيونية بذكاء ؛ ليستميل اليهود وغيرهم لخطته العظيمة ، ومع ذلك فقد كانت صهيونيته فجحة ؛ ولذا فإن معاصريه من اليهود لم يروا ما يدعوهم لمشايعه دعوته ، وبالتالي فإنه لم يتمكن من الحصول على رضا مواطنيه وإخوانه فى الدين .

وقد حمل الملك جيمس الأول (١٦٠٣ - ١٦٢٥م) أفكار العصر الألفى السعيد على محمل الجد ، واعتبرها انتهاكاً شخصياً واعتداءً على حقوقه الخاصة كحاكم مطلق ، واضطر فنش للتراجع ، كما تعرضت تعاليمه للنقد حتى فى البرلمان حيث انطلقت تحذيرات بعض الأعضاء من أنبياء متهودين جدد يطالبون بالبعث اليهودى^(٣١) . ولكن جذور هذه الأفكار الصهيونية رسخت فى الحياة الروحية لإنجلترا وانبعثت من جديد ، ووصلت إلى عصرها الذهبى فى العهد البيوريتانى اللاحق ، على الرغم من الاستياء العام الذى واجهته فى بداية القرن السابع عشر .

كانت الأفكار الصهيونية عن العصر الألفى السعيد لا تزال تدرج فى مراحلها الأولى ، ولكن نواتها كانت موجودة فى اعتناق أفكار معينة من حركة الإصلاح البروتستانتية ، وقد بقيت الصهيونية غير اليهودية خلال هذه الحقبة محصورة فى مجال التأملات الروحية والنقاش اللاهوتى ، لكن العناصر الأساسية لموالة السامية ومعاداتها كانت موجودة فيها ، وكان هناك مزج غريب بين هذين التيارين اللذين يبدوان متناقضين .

كان المصلحون الأوائل يظهرون الحب لشعب الله المختار، ولكنه لم يكن حباً نابغاً من قلقهم على اليهود، بل لدورهم المرسوم لهم في خطة الله كما أوحى بها وعده لهم. وكان تحول اليهود للمسيحية لا يزال الهدف النهائي^(٣٢). لذلك فقد كان فنش يرى أن هذا الأمر سيتم على أنس مسيحية رغم تفكيره بمستقبل زاهر للشعب المختار. وقد حدد ذلك بوضوح في مقدمة «البعث العالمي العظيم»:

إن الله وهو يتغاضى عن أيام خطيئتكم يدعوكم بكل وسيلة للتوبة، وهدفه أن يجمعكم من كل الأماكن التي تفرقتم فيها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وأن يعيدكم إلى وطنكم ويضمكم إليه عن طريق الإيمان إلى الأبد^(٣٣).

كانت الصهيونية غير اليهودية مفعمة بنعمات معادية للسامية التي بقيت عنصراً أساسياً مميزاً في المبادئ الصهيونية غير اليهودية.

مارتن لوثر والروح التهودية

يحتاج مارتن لوثر إلى تحليل أكثر عمقاً ودقة بسبب موقفه المتميز في البروتستانتية. لقد اعتبره البعض محباً للسامية أحياناً ومعادياً لها، بل ومبشراً بالنازية الألمانية اللاسامية في أحيان أخرى^(٣٤)؛ بسبب مواقفه من اليهود المتناقضة تماماً والمثيرة للجدل.

كان مارتن لوثر، كمؤسس وزعيم لحركة الإصلاح البروتستانتي، مسئولاً إلى حد بعيد عن ظهور مناخ القرن السادس عشر الروحي والديني الجديد الذي أوجد أرضاً خصبة للأفكار الصهيونية الأولى. ومما يظهر ميوله اليهودية حماسه لدراسة اللغة العبرية، وتفضيله للمبادئ اليهودية البسيطة على تعقيدات اللاهوت الكاثوليكي، وتأكيده على تمرکز الكتاب المقدس في الحياة المسيحية. وبالتالي:

فلم يترك أعداؤه من البابويين فرصة إلا واغتتموها لوصمه بأنه «يهودي» و«راع يهودي». أما مبادئه، وبخاصة هجومه العنيف على

الأشكال الوثنية، وعبادة الآثار والتماثيل والأيقونات المقدسة فقد جعلته يوصف بأنه «شبه يهودى» أو «نصف يهودى»^(٣٥).

ومن ناحية أخرى كان لوثر يتهم خصومه فى حركة الإصلاح بالتهود، وبخاصة علماء اللغة والدراسات العبرية الليبراليين فى الجامعات الألمانية الذين كانوا يوجهون النقد لترجمات لوثر للعهد القديم العبرى^(٣٦). ويمكن تقسيم كتابات لوثر عن اليهود إلى فترتين متميزتين: ما قبل عام ١٥٣٧م وما بعده، وفى عام ١٥٢٣م كتب لوثر «عيسى ولد يهودياً» والذى أعيد طبعه سبع مرات فى العام نفسه. وقد شرح فى هذا الكتيب المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود محتجاً بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد:

شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم: إنهم الأطفال ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التى تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، تماماً كالمرأة الكنعانية^(٣٧).

لكن الفقرات الأخيرة تظهر بشكل قاطع أن هدف لوثر النهائى، هو تحول اليهود للمسيحية، أى البروتستانتية:

إننى أنصح وأرجو كل شخص أن يكون لطيفاً فى تعامله مع اليهود، وأن يعلمهم الكتاب المقدس، وعندها نتوقع منهم أن يأتوا إلينا. أما إذا استعملنا العنف الوحشى وألحقنا بهم الإهانات قائلين إنهم بحاجة لدعم المسيحيين للتخلص من ننتهم وغير ذلك من السخافات، وإذا بقينا نعاملهم كالكلاب فأى خير نتوقعه منهم؟ كيف نتوقع منهم أن يكونوا أفضل مما هم إذا كنا نحول بينهم وبين العمل معنا، ونرغمهم بذلك على الربا؟ إذا أردنا أن نجعلهم خيراً مما هم، فعلياً أن نعاملهم حسب قانون المحبة المسيحى، لا قانون البابا. عليناً أن نحسن وفادتهم، وأن نسمح لهم بالتنافس معنا لكسب عيشهم؛ لتتاح لهم الفرصة لمشاهدة الحياة والعقيدة المسيحية، وإذا أصبر بعضهم على عناده فما الضرر فى ذلك؟ نحن لسنا جميعاً مسيحيين صالحين^(٣٨).

وكان لوثر، كنصير متحمس لبولس، يؤمن بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ كل إسرائيل كأمة ستتحقق، وكان يلوم البابوية لتحريفها المسيحية وصددها بذلك اليهود عن اعتناقها.

لكن موقف لوثر من اليهود أصبح أكثر قسوة في الجزء الثاني من حياته، فقد أثارت حفيظته الأنبياء القائلة إن اليهود كانوا يجمعون الأنصار لعقيدتهم في مورافيا بدلاً من أن يتحولوا للمسيحية. وفي عام ١٥٤٤ م، ألف كتابه «فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم»^(٣٩) لمواجهة هذه التحديات الموجهة للوثرية. وقد تداخلت الصهيونية واللاسامية في هذا الكتاب بشكل غريب (وإن كان ذلك أمراً عادياً في عرف الصهيونية غير اليهودية):

من الذى يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم فى يهودا؟ لا أحد.
إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم لا لشيء إلا لتخلص منهم.
إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا^(٤٠).

وكثيراً ما تستشهد الدراسات التي تتناول تاريخ اللاسامية بفورات غضب لوثر الفظة المعادية للصهيونية، والتي يبدو فيها الرجل الممثل الحقيقي لما يمكن أن نطلق عليه اللاسامية في القرون الوسطى^(٤١). لكن المأثور عن لوثر أنه لم يكن مهذباً في ألفاظه، وبخاصة حين يهاجم أعداءه، فاللجوء للتعبير الفظة، بل والقذرة، كانت سمة مميزة لأسلوبه وشخصيته البذيئة. وقد كانت عباراته العامية المعادية للكاثوليكية والفرق البروتستانتية المنافسة له تفوق في ضراوتها عباراته اليهودية. ولم يكن لوثر مثلاً للتسامح الدينى، بل مثلاً لعدم التسامح الذى يصل أحياناً إلى حد التعصب.

ومع ذلك، فإن حركة الإصلاح التي وضعها بتحديه الصريح للسلطة الدينية القائمة كانت تبشر بعهد جديد من التسامح الذى كان له تأثير إيجابى فى الحياة اليهودية. لم تعد الكنيسة الكاثوليكية تدعى بأنها عالمية، ولم يعد اليهود يُنبذون باعتبارهم الدخلاء الوحيدىن. وللمرة الأولى لم يعد اليهود أشد الأقليات الدينية اضطهاداً؛ إذ واجهت مجموعات مسيحية منشقة كالمعمدانين وفرق پروتستانتية أخرى المصير نفسه. وخلال الحروب الدينية أصبح ما يتعسر تحقيقه بالعقل والإدراك السليم يُحلُّ فى ميدان المعارك. وقد تضافر سلاح أوجسبرج عام (١٥٥٥ م)، ومجلس ترنت (١٥٤٧ - ١٥٦٣ م)، ومعاهدات وستاليا عام (١٦٤٨ م) على جعل المجتمع الأوروبى علمانياً، وانبثق التسامح عن الضرورة السياسية.

معتقدات الصهيونية البروتستانتية

تكمن أهمية حركة الإصلاح الديني بالنسبة للصهيونية غير اليهودية فيما حققته بدون قصد وبشكل لا شعورى أكثر مما حققته بأهدافها وإنجازاتها المباشرة. كانت العقيدة الأساسية للصهيونية قد أقيمت على أسس واضحة محددة، فخلال القرن السادس عشر تم التأكيد على شخصية اليهود كأمة، ولم يعودوا «كنيسة» كالكنائس الأخرى أو عقيدة دينية. وقد أحدث نشر النصوص التوراتية بشكلها الأصلي، والذي لم يكن مشوباً بالتفسيرات الكنسية الرسمية، ثورة في الفكر المسيحي البروتستانتي، وبذلك أتاح لبعض البروتستانت أن يضيفوا على الكتاب المقدس صبغة سياسية.

ومن المفارقات أن اليهود أنفسهم كانوا يحاولون خلال هذه الفترة أن يجردوا الكتاب المقدس من الصبغة السياسية، ففكرة المسيح المنتظر بين اليهود، والتي كانت مرتبطة بشكل وثيق بحركة الإصلاح الديني، كانت تعارض التدخل البشرى أو الدينوى لتحقيقها، وتتوقع بدلاً من ذلك أن تتحقق عن طريق التدخل السماوى^(٤٢).

وتكمن أهمية الإصلاح في تمهيد الطريق للأفكار الصهيونية عن الأمة اليهودية، والبعث اليهودى، وكون فلسطين وطناً لليهود، وهى الأفكار التى لقيت رواجاً فيما بعد. وقد رسخت الصهيونية غير اليهودية فى القرن السادس عشر حين أصبحت معتقداتها الدينية جزءاً من طقوس الكنيسة، ومن ثم شاعت فى الحياة الثقافية اليومية. وكان للصهيونية غير اليهودية ممثلون مرموقون فى كل فترة من فترات التاريخ التى أعقبت حركة الإصلاح الديني، وتحولت من عقيدة لاهوتية إلى أيديولوجية سياسية للغرب المعاصر.

البيوريتانية الإنجليزية وبعث المملكة القديمة

وصلت النهضة العبرية، بأفكارها المتداخلة المؤيدة للصهيونية ضمناً، إلى ذروتها فى عهد الثورة البيوريتانية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر. وكانت البيوريتانية تمثل أشد أشكال البروتستانتية تطرفاً، كما كانت الوريث المباشر للكالفينية. وقد غالى البيوريتانيون فى إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم تماماً كما كانت الحال فى جنيف فى عهد الكالفينيين.

وكان البيوريتانيون يجمعون بين نزعة حب الخير لليهودية والانطباع بأن اليهود هم خلفاء العبرانيين القدامى . وكان إكبارهم للعهد القديم وأهله ناجماً عن الاضطهاد الذى قاسوه على يدى الكنيسة الرسمية . وكانت معلوماتهم عن الحياة اليهودية ضحلة ؛ لأن الملك إدوارد الأول الصليبي كان قد أبعدهم ، ولو رسمياً على الأقل ، عن إنجلترا عام ١٢٩٠ م .

كانت معلومات البيوريتانيين عن الحياة اليهودية مستقاة من اطلاعهم على التوراة العبرية وبالتالى التماثل ، بينهم وبين شعب الله .

خلال تجارب الاضطهاد المرة والحرب الأهلية ، وجدوا فى العهد القديم بشكل خاص اللغة والأحاسيس التى تنطبق عليهم وتناسبهم تماماً . . كانت تجربة حقيقية للصراع الدينى والسياسى والاضطهاد ؛ تلك التى جعلت مجازات العهد القديم محتملة الصحة . ودفعتهم لاستعمال لغته والأسماء الواردة فيه باعتبارها أنسب أداة لنقل أفكارهم العنيفة^(٤٣) .

كانت إنجلترا فى القرن السابع عشر فيما بعد العهد الإليزابيثى بيئة ملائمة جداً لانتشار الأفكار الصهيونية بين غير اليهود ، ولكن علينا ، ونحن ندرس مدى مساهمة البيوريتانية فى الصهيونية ، ألا ننسى البيئة العامة التى استطاعت الصهيونية الإنجليزية البيوريتانية أن تتعرض فيها . لم تكن الثورة البيوريتانية معزولة عن التاريخ الإنجليزي ، كما أنها لم تكن مجرد حلقة فى سلسلة ما يسمى التقاليد الإنجليزية كما يحلو لبعض الكتاب الصهيونيين أن يصورها^(٤٤) . لقد كانت البيوريتانية هى حركة الإصلاح الدينى التى وصلت إلى خاتمها المنطقية . وعندما تضاءل شأن البيوريتانية مع عودة تشارلس الثانى للعرش عام ١٦٦٠م فإن مثلها العليا ، بما فى ذلك تلك التى تؤيد الصهيونية ، استمرت سائدة فى إنجلترا والقارة الأوروبية ، ومن هناك انتقلت إلى العالم الجديد .

ومع بداية القرن السابع عشر ، كانت حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى أشد ما تكون رسوخاً فى إنجلترا ؛ حيث حلت فترة جديدة من الصراع الروحى والفكرى محل الثقافة الإليزابيثية المرححة والمفعمة بالحياة العاطفية ، وهذا هو الذى يشار إليه عادة

بالثورة البيوريتانية . ولقد نتج عن إعادة اكتشاف الكتاب المقدس ظهور النسخة الإنجليزية المعروفة بنسخة الملك جيمس ، كما أن فتح آفاق الأدب التوراتي أدى إلى انتشار التأويلات التوراتية الجدلية . وكان جوهر العقيدة البيوريتانية مرتبطاً بالحق في التأويل الشخصي ، وكانت إنجلترا واحدة من أوائل دول الإصلاح الديني التي نبذت السيادة الكنسية والبابوية من هذه الزاوية .

العبرية في الحياة اليومية

جلبت البيوريتانية لإنجلترا الغزو «العبري» اجتماعياً وفكرياً، والذي اجتاح القارة الأوروبية . وأصبحت العبرية أمراً محسوساً على المستوى الشعبي وفي حياة الأمة اليومية . وقد وجد البيوريتانيون في العهد القديم «مثالاً سماوياً للحكومة الوطنية ودلالة واضحة للقوانين التي يجب على البشر اتباعها . وإذا عصوها فالعقوبة ماثلة للعيان وآنية»^(٤٥) . وكان البيوريتانيون ، كأتباع كالقنين ، يستشهدون بالعهد القديم لدعم أفكارهم السياسية ، وأصبح كومنولث القديسين في جنيف هو جمهورية القديسين البيوريتانية .

أصبح العهد القديم كتابهم الوحيد الذي ليس لهم كتاب سواه . «كان أدبهم الوحيد» وغذاءهم الفكري والروحي ، ومرشدهم ، وفيلسوفهم ، وصديقهم ، وحثهم القانونية ، ومحكمة استئنافهم العليا . لقد تشكل فكرهم تبعاً له^(٤٦) وكان جهل البيوريتانيين بحياة اليهود المعاصرين قد دفعهم إلى اتباع مواعظ العهد القديم التي هجرها اليهود أنفسهم منذ عهد بعيد^(٤٧) ، وتغلغلت التعابير العبرية في الحديث الإنجليزي ، بل إن بعضهم كان يعتبر العبرية اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس .

وقد اقترح چون ملتون ، الشخصية الأدبية البيوريتانية البارزة ، في مقاله عن التعليم ، أن يتضمن منهج التعليم العام في المدارس الثانوية دراسة العبرية . وظهر تفضيل البيوريتانيين للعهد القديم في العادات اليومية . «كانت النزعة العامة للبيوريتانيين هي التخلي عن المبادئ الخلفية المسيحية والاستعاضة عنها بالعادات اليهودية»^(٤٨) . «اتبع البيوريتانيون نص القانون القديم بدلاً من الركون للتعبيرات الصادرة عن فهمم للتعاليم السماوية»^(٤٩) ، وطالبت مجموعة «الفلرز - Levellers» -

وهي مجموعة جمهورية متطرفة من البيوريتانيين - الحكومة بأن تعلن التوراة^(٥٠) دستوراً للقانون الإنجليزي . وبعد أن حل كرومويل «البرلمان الطويل» عام ١٦٥٣م ، استبدل به «البرلمان القصير» المكون من القديسين فقط ، أى البيوريتانيين ، وكان مجلس الدولة يتكون من سبعين عضواً أسوة بعدد أعضاء السنهدريم (المجلس الأعلى اليهودى القديم) .

لم يعد الأطفال يعمدون بأسماء القديسين المسيحيين المحبوبين ، بل أخذوا يحملون أسماء المقاتلين والبطارقة العبرانيين «وحولوا الاحتفال الأسبوعى الذى كانت تقيمه الكنيسة منذ زمن بعيد وتحفل فيه بذكرى بعث المسيح إلى السبت اليهودى»^(٥١) . وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فاعتنق اليهودية كما فعل جون تراسك وجميع أتباعه ، وبعض الشخصيات المهمة كالفنانون والرسام الشهير ألكسندر كوبر^(٥٢) . أما الذين بقوا على مسيحيتهم فقد أخذوا ينظرون «بعطف متزايد إلى أولئك الذين أطلقوا عليهم اسم شعب الله القديم»^(٥٣) .

وكان من المستحيل أن يتشرب المرء تاريخ العهد القديم ، وأن يسترجعه كوحى سماوى ، ويعيش معه كمرشد يومى ولا يحترم الشعب المسئول عن ذلك كله . وهكذا أخذت فكرة الشعب اليهودى المختار تؤدى دوراً متميزاً فى الفكر الإنجليزى البيوريتانى والنظام القائم .

العودة اليهودية إلى فلسطين

أصبحت فكرة ضرورة إعادة فلسطين لأصحابها العبريين شائعة فى إنجلترا فى أربعينيات القرن السابع عشر . وكانت فلسطين قبل ذلك التاريخ تعيش فى أذهان المسيحيين على أنها أرضهم المقدسة التى دافع عنها الكثيرون من الإنجليز إبان حملاتهم الصليبية ضد المسلمين الكفرة . أما وقد جردت فلسطين من دالاتها المسيحية فقد أصبحت تعتبر وطن اليهود الذين كانت عودتهم إليها هى المقدمة الحتمية لعودة المسيح المنتظر تبعاً لنبوءات العهد القديم .

ولم يمض وقت طويل حتى شهدت إنجلترا البيوريتانية حركة منظمة تنادى بعودة اليهود إلى فلسطين . وعندما كتب المؤننون بالعصر الألفى السعيد : «من أمثال فنش ،

وكت، ويرايتمان عن البعث اليهودى فى نهاية القرن» كان اليهود قلة ينظر إليهم بازدراء. أما الآن، وقد أصبحت البيوريتانية بإيمانها بالعصر الألفى السعيد فى مركز القوة، فقد لقيت فكرة البعث اليهودى قبولاً على نطاق واسع.

وفى عام ١٦٤٩م، أرسل الاسترحام التالى للحكومة الإنجليزية:

ليكن شعب إنجلترا وسكان الأراضى المنخفضة أول من يحمل أبناء
وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التى وعد بها أجدادهم
إبراهيم وإسحق ويعقوب لتكون إرثهم الأبدى^(٥٤).

وكان اللذان بعثا الاسترحام هما «چوانا، وأينزر كارتررايت - Joanna and Ebenezer Cartwright» الإنجليزيين البيوريتانيين المقيمين فى أمستردام^(٥٥). وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ فكرة البعث اليهودى التى يقدم فيها عمل من صنع البشر على أنه الطريق الوحيد لتحقيق الهدف الذى كان يعتبره اليهود وغيرهم أمراً روحياً لا يتحقق إلا بتدخل العناية الإلهية.

ومما أكد جدية هذا الاسترحام أنه تضمن طلباً بأن تقوم الحكومة الإنجليزية بإلغاء قانون النفى الذى وضعه إدوارد، والسماح لليهود بدخول إنجلترا. وسارت فكرة البعث اليهودى مع فكرة إعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا جنباً إلى جنب. وكان تفسير فقرات معينة من العهد القديم «التي تتضمن أن تشتت اليهود قبل بعثهم شرط ضرورى لخلاص إسرائيل النهائى وعودة المسيح» تؤكد هذا التناقض الظاهرى^(٥٦). وهكذا كان على إنجلترا، البلد الوحيد الذى ليس فيه وجود يهودى ظاهرى، أن تكون عوناً لله فى الإسراع بالحادث المنتظر، لكن الحركتين، كما تذكر بربارة تخمان، من أجل البعث اليهودى والسماح لليهود بدخول إنجلترا لم تكونا من أجل اليهود أنفسهم «بل من أجل الوعد المعطى لهم. . . فقد كان ينظر إلى العودة على أنها اعتراف اليهود للمسيحية؛ لأن هذه هى علامة تحقيق الوعد»^(٥٧). وكان الكثير من البيوريتانيين يعتقدون، بدافع من عبريتهم، أن من اليسير على اليهود أن يتحولوا للمسيحية وهو الموقف الذى رأيناه فى حب لوثر للسامية فى المرحلة الأولى من حياته.

وكان بعض دعاة المسيحية اليهودية من اليهود، وأبرزهم «مناسح بن إسرائيل - Menasseh Israel» كبير حاخامات أمستردام، يؤيدون الدعوات البيوريتانية الإنجليزية

لإعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا . وقد ربط كتابه «أمل إسرائيل» بذكاء بين مسيحية الإنجليز البيوريتانيين والمسيحية اليهودية الحقيقية ، كما ربط بين التفكير اللاهوتي والسياسة العملية^(٥٨) . كان مناسح على اطلاع تام على تعاليم البيوريتانيين الجديدة حول الأمور الأخروية ، وكان له أصدقاء ورفاق كثيرون من البيوريتانيين الذين فروا من إنجلترا إبان الاضطهاد الذي لاقوه في عهد الملكة ماري . ولم يكن يرى أن إعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا هدف في حد ذاته ولكنه خطوة نحو إعادة استيطانهم النهائي في فلسطين .

ويصف سو كولو ف مناسح بأنه «لو لم يكن صهيونياً لما كان شيئاً إذا ما نظرنا إلى الصهيونية في ضوء ذلك العهد»^(٥٩) ، وللسبب ذاته يمكن اعتبار الرأي العام في إنجلترا البيوريتانية صهيونياً في ردة فعله المتحمسة للدعوة إلى إعادة اليهود إلى إنجلترا وفلسطين ، فقد راجت الترجمة الإنجليزية لكتاب «أمل إسرائيل» ونفدت ثلاث طبعات منه قبل أن تطأ قدما المؤلف أرض إنجلترا عام ١٦٥٥ م . والواقع أن الصهيونية كانت العنصر الأساسي في قضية إعادة توطين اليهود ، فقد أدرك البيوريتانيون ودعاة البعث اليهودي أن الظروف السياسية مهيأة لذلك . وأهم من ذلك كله استعدادات أوليفر كرومويل الشخصية الصهيونية الرائدة .

أوليفر كرومويل واليهود

كان أوليفر كرومويل ، والذي بقى نحو عشر سنوات رئيساً للكومنولث البيوريتاني (١٦٤٩ - ١٦٥٨ م) ، متعصباً دينياً وسياسياً يؤمن بالذرائع . ومن أجل حل مشكلة السماح لليهود بالعودة إلى إنجلترا ، دعا مؤتمر وايت هول في ديسمبر عام ١٦٥٥ م لبحث شرعية وظروف تلك العودة^(٦٠) . كان أعلى المستويات القانونية والدينية ممثلة في ذلك المؤتمر الذي حضره كرومويل ومناسح بن إسرائيل حيث قدما حججاً بليغة تؤيد عودة اليهود . وكان رأى المؤتمر يعكس في الواقع وجهة نظر الرأي العام ، فقد أكد المحامون أنه ليست هناك اعتراضات قانونية ، ولكنهم لا يستطيعون أن يوافقوا على الشروط . ومع أن المؤتمر اعترف من حيث المبدأ بحق اليهود الشرعى في الإقامة في بلد مسيحي ؛ فإنه أخفق في الوصول إلى حل عملي .

كانت هذه هي النقطة التي تدخل كرومويل عندها بشكل شخصي للسماح بدخول اليهود «عن طريق التغاضي»^(٦١) بعد أن أُلقت المصلحة السياسية بثقلها إلى جانب الدين والقانون؛ إذ نص مؤتمر «وايت هول» على أن «السماح لليهود بدخول دولة پروتستانتية ينبغي ألا يكون «قانونياً» فحسب، بل «أمراً نفعياً»^(٦٢).

كان الكسب التجارى هو الحافز لكرومويل لفعل ما قاله؛ إذ إن الحرب الأهلية التي سبقت العهد البيوريتانى ألحقت ضرراً بليغاً بمركز إنجلترا كقوة تجارية وبحرية، وكانت طبقة التجار البيوريتانيين تشعر بالغيرة من الألمان الذين وجدوا الفرصة سانحة للسيطرة على الطرق التجارية للشرقين الأدنى والأقصى. وكان معروفاً آنذاك أن لليهود الألمان فضلاً في اتساع التجارة الألمانية مع بداية القرن السابع عشر. وعندما وافق كرومويل على السماح لليهود بدخول إنجلترا من جديد، كان منهنكاً بسلسلة من الحروب التجارية مع البرتغال والأراضى المنخفضة وإسبانيا. وكان لدى كلٍّ من هذه الدول جماعة يهودية مهمة معروفة بثروتها ومواهبها التجارية وقيامها بعقود أعمال في الخارج. وعلى ذلك، فالتجار اليهود في إنجلترا «قد يسدون خدمات له بعملهم جواسيس يزودونه بمعلومات عن السياسات التجارية للدول المنافسة له، وعن المؤامرات التي يديرها أنصار الملكية في الخارج، بفضل اتصالاتهم وتنقلهم في أوروبا»^(٦٣) وكان هناك حافز آخر وهو رءوس الأموال الضخمة التي يمكن أن يجلبها اليهود معهم لاستثمارها في الصناعة الإنجليزية.

أما على المستوى الدينى، فقد كان اهتمام كرومويل بجمع اليهود في إنجلترا يفوق اهتمامه بجمعهم في صهيون، ونظراً لأن إنجلترا في عهده لم تكن إمبراطورية بريطانية بعد، فإن اهتماماته لم تكن استعمارية بل تجارية محضة. وكانت الصهيونية البيوريتانية قانعة بإعادة اليهود مستقبلاً إلى فلسطين، ولم تكن ترى أن لإنجلترا دوراً سياسياً في تحقيق تلك العودة اللهم إلا إذا كانت عودة اليهود لإنجلترا خطوة على هذا الطريق. وبقيت فكرة عودة اليهود إلى فلسطين «كمقدمة لعودة المسيح» تحتل مكانة راسخة في العقيدة الدينية للبروتستانتية. وأصبحت هذه الفكرة تستغل فيما بعد كستار للمصالح الاستعمارية في فلسطين التي ارتبطت بالمتطلبات الأساسية للإمبراطورية.

تضاءلت أهمية العبرية فى الحياة الإنجليزية فى أعقاب موت كرومويل عام ١٦٥٨م، لكنها لم تفقد جاذبيتها بالنسبة لكثير من المسيحيين المتعاطفين معها. وبعودة آل ستيوارت للحكم عام ١٦٦٠م، هزمت البيوريتانية نفسها، ثم قضى عليها نهائياً فى عهد الثورة المجيدة عام ١٦٦٨م. ورغم ذلك استمرت عقيدة العصر الألفى السعيد المؤيدة للصهيونية، بل إنها ازدهرت فى بيئة عصر العقل المعادية لها فى القرن الثامن عشر.

لم تكن البيوريتانية، شأنها فى ذلك شأن العبرية المسيحية إبان مجدها، محصورة فى إنجلترا وحدها، بل امتدت إلى أرجاء أوروبا كافة؛ حيث كانت البروتستانتية راسخة الأقدام. ولقد كانت الأفكار الصهيونية راسخة فى الإحساس الشعبى فى الأراضى المنخفضة الكالطينية؛ إذ إن اليهود الإسبان الذين فروا هرباً من محاكم التفتيش وجدوا ملاذاً لهم ولقوا كل ترحيب كحلفاء ضد العدو المشترك للملك الإسباني والكنيسة الكاثوليكية^(٦٤).

الصهيونية الألفية فى أوروبا

كانت ثورة هولندا إلى حد كبير أحد الأحداث العرضية فى الصراع الدينى الذى أثارته حركة الإصلاح الدينى، فقد كانت الدول التى تعرف الآن باسم الأراضى المنخفضة وبلجيكا تحت حكم التاج الإسبانى، رغم مرور زمن طويل على حركة الإصلاح البروتستانتى فى ألمانيا. وعندما توطدت البروتستانتية فى المدن والقطاعات الشمالية، أدى تدخل الحكومة الإسبانية الكاثوليكية فى حرية الدين إلى ثورة علنية عام ١٥٦٥م، كتب النصر فى نهايتها للقوات البروتستانتية عام ١٦٠٩م، وأسست جمهورية مستقلة تضم الأراضى التى شملها حالياً هولندا، وكانت الألفية البروتستانتية صفة مميزة للأيدولوجية الهولندية الكالطينية فازدهرت الطوائف المتهودة خلال القرن السابع عشر وبلغت ذروتها.

وكان لفرنسا كذلك نصيبها من الصهيونيين المؤمنين بالعصر الألفى السعيد، وبخاصة بين الهجنوت فى المناطق الجنوبية. وكان ممثلهم البارز هو إسحق دى لايرير (١٥٩٤-١٦٧٦م) الذى كتب «دعوة اليهود»، ودعا إلى إحياء إسرائيل بتوطين الشعب اليهودى فى الأراضى المقدسة رغم اعتناقه النصرانية^(٦٥)، وقد بعث استرحامه إلى

الملوك الفرنسيين ولكن رسالته لم تنشر مطبوعة إلا بعد ما يقارب القرنين من الزمان، حين دعا نابليون إلى اجتماع السنهدريم اليهودى فى مايو عام ١٨٠٦م^(٦٦). ومع ذلك بقى الكاتب عالماً ذا نفوذ، بل إنه عين سفيراً لفرنسا فى الداغمارك عام ١٦٤٤م، وهناك عالم فرنسى آخر هو فيليب جنتل دى لانجالير (١٦٥٦ - ١٧١٧م) الذى لم يصب نجاحاً كسلفه، فعندما تقدم بخطته من أجل توطين اليهود فى فلسطين على أن يعطى الخليفة العثمانى روما بدلاً منها ألقى القبض عليه، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى^(٦٧)، وتنبأ قسيس فرنسى آخر وهو پيير جوريو فى كتابه «L'Ac-Prophecies complissement de» بإعادة تأسيس مملكة يهودية فى فلسطين قبل انتهاء القرن السابع عشر^(٦٨).

وكان لألمانيا اللوثرية وإسكندنافيا نصيهما من الصهيونية التى تؤمن بالعصر الألفى السعيد، فقد كانت هامبورج الواقعة فى شمال ألمانيا مشهورة فى القرن السابع عشر بأنها الموطن الأسطورى لليهود فى القارة الأوروبية، وكان هذا الميناء ثالث موطن مهم بعد لندن وأمستردام يأوى إليه اليهود الإسبان والبرتغاليون الفارون من محاكم التفتيش. كما أن هامبورج كانت مركز الحركة التقوية الألمانية، وهى حركة روحية تركز تعاليمها الأخرى على عودة الشعب اليهودى إلى فلسطين. وقد استغل مؤسس هذه الحركة، فيليب چاكوب سبنسر (١٦٣٥ - ١٧٠٣م) كتابات لوثر الأولى حول المسألة اليهودية من أجل تعزيز حب السامية كوسيلة لإغراء اليهود بالتنصر قبل عودته لفلسطين^(٦٩)، لكنه كان يدعو كذلك إلى تفهم واحترام اليهود الذى يؤثرون التمسك بدينهم.

وفى عام ١٦٥٥م، نشر پول فلجنهارد (١٥٩٣ - ١٦٧٧م) كتابه «أخبار سعيدة لإسرائيل» الذى أكد فيه أن عودة المسيح، ووصول المسيح اليهودى حدث واحد^(٧٠). وكانت علامة ظهور المسيح اليهودى المسيحى حسب اعتقاد المؤمنين بالعصر الألفى السعيد هى «عودة اليهود الدائمة إلى وطنهم الذى منحه الله لهم من خلال وعده القاطع لإبراهيم وإسحق ويعقوب»^(٧١).

انتشرت هذه الأفكار الصهيونية عن عودة اليهود إلى فلسطين من شمال ألمانيا إلى الدول الإسكندنافية، فى الداغمارك حتّ هو لجر بولى ملوك أوروبا على القيام بحملة

صليبية جديدة لتحرير فلسطين والقدس من الكفار وتوطين اليهود وارثيها الأصليين الشرعيين^(٧٢). وفي عام ١٦٩٦م، قدم خطة مفصلة إلى ملك إنجلترا ويليام الثالث طالباً منه أن يعيد احتلال فلسطين ويسلمها لليهود لإقامة دولة خاصة بهم. وكانت خطته تعد في ذلك الوقت محاولة جريئة للربط بين الطموحات الدينية لدعاة بعث اليهود والأحداث السياسية، وقد خاطب الملك الإنجليزي بأسلوبه ولغته المسيحية قائلاً «أى قورش العظيم يا أداة الإله العظيم الذى بفضل سيولد المعبد الأخير من بين رماد معبد هيرود»^(٧٣) (قورش هو الذى سمح للعبرانيين التوراتيين بالعودة من بابل إلى فلسطين).

وفى السويد، أرغم أندرز بدرس كمب (١٦٢٢ - ١٦٨٩م) «وهو ضابط سابق فى الجيش تحول إلى اللاهوت» إلى مغادرة ستوكهولم بسبب دوره فى نشر حركة التبشير «بالمسيح» اليهودى الألمانية. وقد استقر قرب هامبورج، حيث نشر عام ١٨٦٨م كتابه «أخبار إسرائيل السارة» الذى كان هجوماً عنيفاً على المسيحية التقليدية.

أيها المسيحيون الوثنيون، إنكم تسمعون لمعلمين مزيفين، وبخاصة روما أم الفسق، بأن يقنعوكم بأن الله حرم اليهود من الميراث وطردهم، وإنكم إسرائيل المسيحية صاحبة الحق فى امتلاك أرض كنعان إلى الأبد»^(٧٤).

واستحث اليهود على أن يفرضوا على الآخرين الاعتراف بأنهم شعب الله المختار وأن يتهيئوا للعودة الدائمة للأرض المقدسة.

وبمقدور المرء أن يواصل سرد مقتطفات من أعمال كتاب بارزين بذروا فعلاً بذور الصهيونية من خلال تعاليمهم الأخروية خلال القرن الذى أعقب عصر النهضة البروتستانتية. وكانت المرحلة الأولى من مراحل هذا النوع من الصهيونية غير اليهودية عاصفة، فقد أوجدت الحروب الدينية وعدم الاستقرار الاجتماعى جواً متوتراً مشبعاً بالأفكار الباطنية والتوقعات. واجتاحت أوروبا موجات أفكار العصر الألفى السعيد، وبخاصة خلال حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨ - ١٦٤٨م) وما بعدها، وراجت التوقعات المتعلقة بنهاية الزمان بين كل الطبقات الاجتماعية وفى كل الدول.

لم تكن مظاهر الصهيونية غير اليهودية المبكرة إذن أحداثاً في معزل عن غيرها، كما أنها لم تكن أفكاراً يعتنقها مهووسون متدينون وغرباء. لقد ظهرت في أنحاء مختلفة من أوروبا، ولم تقتصر على إنجلترا في ظل البيوريتانية كما يزعم بعض المؤرخين الصهيونيين. وانتشر أدب ديني ضخّم عن دور وقدر اليهود خلال القرن السابع عشر، ولم تخمد جذوته بسبب طبيعته الألفية. صحيح أن الكثيرين من المؤمنين بالعصر الألفى السعيد واجهوا الأزدراء والتعذيب، بل والإعدام أحياناً بسبب معتقداتهم، ولكن كتاباتهم ساعدت على تعزيز فكرة العودة اليهودية إلى فلسطين. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت الأمور العملية، وهي موعد وكيفية العودة، تحظى بأهمية.

* * *

هوامش الفصل الأول

(١) من الحقائق المسلم بها أن الصهيونية اليهودية بدأت كحركة أقلية يهودية، وكان الفكر اليهودي في القرن التاسع عشر معادياً للصهيونية بشكل عام ويركز على التماثل والإصلاح الديني. وكانت اليهودية التقليدية تعارض علمانية الصهيونية السياسية. انظر:

Arthur Herzberg: (ed), The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader (New York, 1969), pp. 1 - 20.

(٢) Talcott Parsons, The Social System (Glencoe, New York, 1957).

(٣) ذكر أن المجتمع الإسرائيلي المعاصر يعتمد على أساطير صهيونية أكثر تنوعاً، ولكنها تدور جميعاً حول الأساطير الثلاثة المذكورة. وللإطلاع على بحث مفصل عن الأساطير الأساسية في المجتمع الإسرائيلي انظر Ferdinand Zweig, The Sword and Harp (London, 1969) وبخاصة الفصل السابع. أما ناحوم سو كولوف فإنه يطلق في كتابه: History of Zionism (London, 1919) على هذه الأساطير أسماء: الأرض الموعودة، والتميز القومي اليهودي، ومستقبل الشعب اليهودي.

Louis I. Newman, Jewish Influence on Christian Reform Movement (New York, 1966) p. 19.

Edwyn R. Bevan and Charles Singer (eds), The Legacy of Israel (Oxford, 1944), p. 69.

Barbara Tuchmann, Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour (London, 1956) p. 37.

Friedrich Heer, The Medieval World: Europe 1100 - 1350 (New York, 1961). p. 310.

Hilaire Belloc, The Jews (Boston, 1922) p. 210

(٩) يتحدث ماثيو أرنولد عن «الإحياء العبري» في Culture and Anarchy (Ann Arbor, 1965) p. 172، ويلاحظ جو دمان المسيحية اليهودية في البروتستانتية المبكرة: انظر: Guedmann, Ju-deisches in Christentum des Reformations Zeitalter (Vienna, 1870) p. 2.

(١٠) Mayir Verte. The Restoration of the Jews in England Protestant Thought. 1790 - 1840. Middle Eastern Studies, Vol 8. No 1, p.14.

(١١) يشير المصطلح Judaizing إلى تقليد الأفكار والممارسات والعادات اليهودية.

(١٢) The Cambridge Modern History Vol. 11 (New York, 1907) p. 696.

David Ben - Gurion, *The Rebirth and Destiny of Israel* (New York, 1954), p. 100. (١٣)
Robert W. Stookey, *The Holy Land*, *Middle East Journal*, Vol. 30, No. 3, 1976 (١٤)
p.353.

(١٥) المصدر السابق لـ Sokolow ، ص ٦٠ .

(١٦) المصدر السابق لـ Barbara Tuchmann ، ص ١٨ .

(١٧) المصدر السابق لـ Newman ، ص ٨٢ .

(١٨) المصدر السابق ص ٢٤ .

J.G. Dow, *Hebrew and Puritan*, *Jewish Quarterly Review* Vol 3, 1981. pp.1 - 60. (١٩)

(٢٠) المصدر السابق لـ Bevan and Singer ، ص ٣٣١ .

Heinrich Graetz, *Geschichte der Juden*, Vol, X (Leipzig 1888) p.2. (٢١)

(٢٢) كتب المؤرخ اليهودي سيسيل روث Cecil Roth * كانت العلاقات الشخصية بين اليهود وغيرهم في عصر النهضة - دون استثناء الأرستقراطية بل وأعضاء الأسر الحاكمة - أوثق وأشد مما أصبحت عليه فيما بعد في أي بلد أوروبي حتى القرن التاسع عشر . انظر : Cecil Roth, *The Jews in the Renaissance* (New York, 1959), p. 21.

(٢٣) سفر الرؤيا هو آخر أسفار العهد الجديد، وتعود كتابته لأواخر القرن الميلادي الأول حين كان المسيحيون الأولون يقاسون أشد أصناف الاضطهاد تحت حكم الإمبراطورية الرومانية .

Roland H. Bainton, *The Reformation and the 16 th Century* (Boston, 1952), p. 19. (٢٤)

(٢٥) من الحركات التي وجدت قبل عصر الإصلاح الديني وكانت لها اتجاهات ألفية، حركة Wal- densians في القرن الثاني عشر في جنوب فرنسا، وفرقة Passagii التي ظهرت في الوقت نفسه وحركة Hussites في بوهيميا في القرن الخامس عشر .

Salo W. Baron, *A Social and Religious History of the Jews* Vol. 2 (New York, 1937), p. 198.

(٢٧) كما ورد في ص ١٦ من المصدر السابق لـ (Verete) .

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) المصدر السابق .

Franz Kobler, *The Vision was there* (London, 1956), P. 18. (٣٠)

(٣١) المصدر السابق، ص ٢٠ .

Albert Hyamson, *A History of the Jews in England* (London 1918), p. 132. (٣٢)

Christopher Sykes, *Two Studies in Virtue* (London, 1953) pp. 50 - 149. كما ورد في (٣٣)

(٣٤) Baron ، المصدر السابق، ص ١٩٨ .

R. Lewin, *Luther's Stellung zu den Juden*, *Neue Studien Zur Geschichte der Kirche*, Vol. 10, 1911, p. 17. (٣٥)

(٣٦) المصدر السابق، ص ٦٠ .

Martin Luther, Saemtliche Werke. Vol. 29. pp.7. 46. (٣٧)

(٣٨) المصدر السابق، مجلد ٣٠، ص ٧٤.

(٣٩) المصدر السابق، مجلد ٣٢، ص ٩٩-٣٥٨.

(٤٠) المصدر السابق.

Leon Poliakov, The History of Anti - Semitism (New York. 1965), especially p. 220. (٤١)

See Richard Gottheil, Zionism (Philadelphia. 1914), p. 96. (٤٢)

W. B. Selbie, 'The Influence of the Old Testament on Puritanism' in Bevan and (٤٣)

Singer, op, cit. pp. 9 - 408.

(٤٤) وجهة نظر البيوريتانية والصهيونية والتعاليم البريطانية «الفريدة» موجودة في ص ٢٦-٢٧ من مجلد ١ من كتاب ناحوم سوكلوف السابق ذكره «يظهر التاريخ أن الفكرة الصهيونية وتجدد الجهود المستمرة في هذا الاتجاه يعد واحداً من تعاليم الشعب الإنجليزي لعدة قرون، فقد كان المسيحيون الإنجليز يدرسون مبادئ القومية اليهودية الأساسية. وهكذا كانت الصهيونية مرتبطة دائماً بالإنجلترا. وكانت الفكرة القومية اليهودية تستهوى المشاعر الإنجليزية وتمس شغاف قلوب الشعب الإنجليزي.

ووجهة النظر هذه موجودة كذلك في كتاب تخمان «Bible and Sword» وفي مقال ف. س. بركت «دين المسيحية لليهودية» حيث كتب «إن المسيحية الإنجليزية أكثر يهودية في بعض جوانبها من المسيحية الأوروبية بشكل عام، وقد أضفت عليها الروح التوراتية للديانة الإنجليزية منذ عهد الإصلاح الديني مسحة عبرية، لا مسحة سامية، وهذا يحجب النظام غير العبري الذي اشتقت منه» انظر ص ٦٩ من المصدر السابق لـ «Bevan and Singer»

(٤٥) Baron، المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٢٠٠.

(٤٦) Dow، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٤٧) كان الاعتقاد بالسحر، حتى من قبل البيوريتانيين الكبار كـ «ملتون، وكرومويل»، مبنياً على النصوص التوراتية. وكانت المقاضاة القانونية عليه غير معروفة ليهود العصور الوسطى. انظر المصدر السابق لـ Dow.

William Cunningham, Growth of English Industry and Commerce (Cambridge, 1892). (٤٨)

كما ورد في ص ٨٢ من المصدر السابق لتخمان.

(٤٩) المصدر السابق.

(٥٠) كتاب القانون اليهودي.

T.B Macaulay, History of England, 5 Vols. (Philadelphia 1861), Vol. I. p. 71. (٥١)

(٥٢) كان الارتداد للمسيحية خلال حكم جيمس الأول أمراً مألوفاً.

Cecil Roth, England in Jewish (London, 1949), p. 7. (٥٣)

Don Patinkin, Mercantilism and the Readmission the Jews to England, كما ورد في (٥٤)

Jewish Social Studies, Vol. 8, July 1946, pp. 78 - 161.

(٥٥) أرسل إدوارد نيكولوس في الوقت نفسه تقريباً استرحاماً مشتبهاً بعنوان «الدفاع عن أمة اليهود المحترمة وجميع أبناء إسرائيل» وقد ربط بين نكسة إنجلترا وسوء معاملتها السابقة «لأنبل شعوب العالم، الشعب الذي اختاره الله» انظر المصدر السابق لسيسيل روث-England in Jewish History، ص ٥.

(٥٦) فقرات العهد القديم المشار إليها هي الفقرة السابقة من كتاب دانيال رقم ١٢ «وعندما ينتهي من بعثة قوة الشعب المقدس فسيتهي كل شيء» والفقرة ٦٤ من كتاب «Deuteronomy» رقم ٢٨ الذي يتحدث عن الانتشار اليهودي «من طرف إلى آخر في الأرض».

(٥٧) تخمان، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٥٨) كوبلر، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٥٩) سوكلوف، المصدر السابق مجلد ١، ص ١٦.

(٦٠) Mordecai L. Wilensky, Thomas Barlow's and John Dury's Attitude Toward the readmission of the Jews to England' The Jewish Quarterly Review, 50 No. 2, October 1959, and No. 3, January 1960, pp. 75 - 167 and 68 - 256.

(٦١) المصدر السابق.

(٦٢) المصدر السابق، ص ٢٦٠، أقام مناسح بن إسرائيل حجته في خطابه المتواضع لحامي الحمى على حوافز دينية وحوافز المنفعة، فأشار إلى المكاسب الاقتصادية الكبيرة التي ستجنيها إنجلترا من استيطان التجار اليهود في إنجلترا، وركز على برهان عودة المسيح رابطاً بين إعادة السماح لليهود ورحيلهم النهائي إلى فلسطين.

(٦٣) تخمان، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٦٤) K.H. Rengstorf and S. Kortzfleisch (eds), Kirche und Synagoge (Stuttgart 1967), pp. 98 ff.

(٦٥) سوكلوف، المصدر السابق، مجلد ١، ص ٤١-٤٢.

(٦٦) المصدر السابق، ص ٤١.

(٦٧) Revue des Etudes Juives, Vol. 89, 1930 pp.236.

(٦٨) Verete، المصدر السابق، ص ٥-٦.

(٦٩) Rengstorf and Kortzfleisch، المصدر السابق، الفصل الثاني.

(٧٠) H. J. Schoeps, Philosemitismus im Barock (Tübingen, 1952) p.21.

(٧١) Rengstorf and Kortzfleisch، المصدر السابق، ص ٥٩-٦٠.

(٧٢) Schoeps، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٧٣) كما ورد في كوبلر، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٧٤) Rengstorf and Kortzfleisch، المصدر السابق ص ٦٣.

* * *